

إثيوبيا:

طبيعة بكر ومآثر إسلامية عريقة

إذا كان العالم يعرف عن هذا البلد فقط مآسيه التي خصصت لها وسائل الإعلام حيزاً هاماً ضمن أخبارها، لاسيما المجاعة والحروب المتعددة التي عانت منها إثيوبيا لسنوات، وإذا كان الجمهور الرياضي يعرف تألق عدائي هذا البلد في ألعاب القوى، وخصوصاً في المسافات الطويلة (أبيبي بكيلا، هيلي جبريل سيلاسي، كينينيسا بيكلي) فهناك القليل من يعرف عن مؤهلات إثيوبيا في المجال السياحي، سواء الطبيعية منها أو الثقافية والتراثية والحضارية.

< الدار البيضاء _

نور الدين سعودي

تصوير: المركز الفرنسي

للدراستات الإثيوبية بأديس أبابا

(©CFEE) مع صور إضافية

الخط الاستوائي، ولها حدود مشتركة مع كل من السودان وإرتريا والصومال وكينيا وجيبوتي. تبلغ مساحتها 1.127.000 كم مربعاً وعدد نفوس سكانها 74.7 مليون نسمة، وهي ثاني أكبر دولة إفريقية بعد نيجيريا.

تتباين الطبيعة الجغرافية في أثيوبيا من الجبلية المرتفعة (حيث أعلى قمة تبلغ

إثيوبيا؟ الحبشة؟

كانت إثيوبيا تعرف قديماً بالحبشة، ومعروف أنها هي البلد الذي لجأ إليه المسلمون الأوائل (في القرن السابع ميلادي) هرباً من بطش كفار مكة، واسمها المعاصر إثيوبيا، يعني "الوجه المحترق أو الأسمر".

تقع إثيوبيا في أقصى شرق إفريقيا في قلب منطقة القرن الأفريقي على مقربة من

إفريقي المغمور في الواجهة الإعلامية الدولية. ذلك أن الأبحاث الأثرية أماطت النقاب مؤخراً عن حقبة هامة من تاريخ هذا البلد تخص ملكة "الشوا" الإسلامية التي حكمت مناطق من إثيوبيا خلال العصر الوسيط. أجرى هذه الأبحاث فريق من باحثين أثيوبيين وفرنسيين يعملون لصالح المركز الفرنسي للدراستات الإثيوبية بأديس أبابا.



Beautiful landscape

طبيعة جميلة



Nora (©CFEE)



Mosque's entrance/ Nora (©CFEE)

مدخل الجامع/ نورة

على عدة هكتارات في الطرف الشمالي من التل الذي يقع عليه المسجد والذي يحده سوران من الشرق والشمال. وفي الجانب الغربي من الموقع، جُذ سوراً مستقيماً باتجاه شمال-جنوب يبلغ عرضه متران وعلوه متر واحد وطوله 4 كيلومترات، وهو يمثل حاجزاً أمام الهضبة. وبين هذا السور والموقع في حد ذاته، توجد مساحة يكسوها حالياً غطاء نباتي من الأشجار و تتضمن بقايا بقع مترابطة ربما تدل على بقايا ضيعات زراعية، وتتمثل أطلال هذه المدينة في طابع عمراني متناثر على العموم مع كثافة سكنية كبيرة في المناطق المجاورة للسور، حيث تبدو علامات بعض الطرق أو المسالك، بقايا السور ضعيفة الارتفاع ولا تبرز إلا عند مرتفع التل، وثمة، على الأقل، سوران متراصان يلتقيان عند المسجد وهما ربما يحدان بعض الأحياء.

- مدينة ماسال

وضمن نفس خط المرتفع جُذ مجموعة من المواقع الإسلامية لمدينة ماسال، وهي تتضمن مساجد ومنابر، خُبط بها أحياناً أسوار ومقابر عدة تحوي آلاف القبور، وثمة أدوات متنوعة مصنوعة من حجر أسود صلب تتوزع على هذا الموقع. وُجِد في المقابر الكبرى بقايا شواهد

المركز الفرنسي للدراسات الإثيوبية بأديس أبابا. أزيلت الغبار عن ثلاث مدن عتيقة ضمن منحرجات وادي سريفت" المكسو حالياً بغطاء نباتي كثيف، على ارتفاع يبلغ حوالي 1300م. هذه المدن الثلاث، أسباري وماسال ونورة، تعد الدليل القاطع على الوجود الفعلي والتاريخي للمملكة الشوا التي كانت تتحكم في إحدى أهم الطرق التجارية لتلك الحقبة بين هضاب إثيوبيا العليا التي كان معظم سكانها مسيحيين وموائئ البحر الأحمر وخليج عدن التي كان سكانها مسلمون.

مدينة أسباري

تُحْتل أطلال هذه المدينة العتيقة مجالا صخريا واسعاً على الواجهة الشرقية من بقايا سور وعلى ارتفاع يبلغ 1.240 متراً. وأبرز عنصر ضمن بقايا هذه المدينة هو المسجد الذي لازالت معالمه محفوظة نسبياً، وحسب المعطيات التاريخية المتوفرة، يعد هذا المسجد من أكبر المساجد المعروفة على التراب الإثيوبي، وهو يحمل كتابات بالعربية على بعض جدرانها الداخلية والخارجية. وبالإضافة إلى هذا المسجد الكبير، تم الكشف عن عدة مباني ذات طابع ديني، مثل الحراب ومساجد صغيرة وزوايا. كما أن ثمة مقبرة تضم حوالي 100 قبر تمتد

4,620م إلى السهلية المنخفضة، وتتميز أغلب مناطقها بالمناخ الاستوائي. ويتراوح معدل درجات الحرارة ما بين 16 و30 درجة مئوية. ومع أن إثيوبيا كانت تعد أقدم دولة مسيحية، حيث استمرت منذ سنة 330 ميلادية، فإن تركيبها الاجتماعية تتألف في الوقت الراهن من 45% من المسلمين و45% من المسيحيين الأرثوذكس، فيما يمثل اليهود وديانات محلية 10% من ساكنة البلاد. ومن الناحية الاقتصادية، تعتبر إثيوبيا من الدول الفقيرة حيث تمثل الزراعة وتربية الحيوانات 40% من مجمل النشاط الاقتصادي وتستهلك 80% من مجموع القوى العاملة. ولعل أجمل ما تتوفر عليه البلاد، وهو أفضل هبة منها للعالم، هو قهوتها ذات الذوق الرفيع والمشهورة عالمياً.

ملكة الشوا

توجت الأبحاث الجارية منذ بضع سنين، في إطار مهمة التنقيب "جندييلو/نورة"، بالكشف عن أطلال ثلاث مدن، مما مكن من تحديد الموقع الجغرافي لمملكة الشوا الإسلامية التي سادت المنطقة خلال الفترة الممتدة بين القرن العاشر والقرن السادس عشر ميلادي. هذه الأبحاث، التي جرت بتنسيق من قبل



Tourists exploring Ethiopia

سياح يستكشفون إثيوبيا



A street/ Nora (©CFEE)

شارع / نورة

للتطور البشري قبل الحفرية لوسي." مضيفا أن البقايا التي عثر عليها تشمل هيكلًا كاملاً بالصلوع والفقرات القطنية والحوض. كما عثر على بقايا حيوانات. وهذا الاكتشاف الجديد عثر عليه على بعد 60 كيلومترا شمالي الموقع الذي اكتشف فيه هيكل "لوسي" في منطقة عفار بشرق البلاد. ◀

كما اكتشف فريق من علماء الآثار يدرسون الأصول البشرية 12 حفرة يبدو أنها أقدم من الحفرة الشهيرة "لوسي". وقال عالم الآثار الإثيوبي يوهانيس هيل سيلاسي بهذا الصدد، أن "اكتشاف 12 حفرة للإنسان البدائي الأول تتراوح أعمارها بين 3,8 و4 مليون عام شيء مهم فيما يتعلق بفهم المراحل المبكرة

قبور تخص حقبة تاريخية أكثر قدما، تعود في غالب الظن إلى المرحلة العليا من القرون الوسطى. وهي المرحلة التي لا تتوفر إثيوبيا إلا على وثائق نادرة حولها. معظم القبور ليست عليها كتابات إلا قبر واحد، يحمل شاهدة على أوجهه الأربعة جمة سيدنا سليمان وكتابات بالعربية تكشف عن الطابع الملكي للقبر.

- مدينة نورة

تقع هذه المدينة بدورها على ربوة صخرية، بحوالي 300 كلم شمال أديس أبابا. تكشف عدة أطلال ترتفع إلى متر أو مترين عن معالم معمار حضري كثيف تتخلله طرق صغيرة تدل عليها بقايا جوانب معبدة بالحجارة. معظم المنازل ذات شكل مستطيل تقليدي. ومن المتعذر الكشف عن معالم تنظيم المجال السكني للتمييز بين الغرف والمرافق الأخرى. والطرق المرتفعة في شكل مدرج تبدو آثارها أكثر وضوحا عند السور. وبني هذا السور بأحجار ضخمة من الطوب. ووجد عدة معالم عمرانية في شكل دائري هي عبارة عن بقايا تحصينات دفاعية على الواجهة الداخلية للمدينة. ولأزالت بقايا المسجد الرئيسي للمدينة بجدران ذات ارتفاع يبلغ 4 إلى 5 أمتار. ولا يزال محراب المسجد قائما لم يمسه ضرر. وفي ما يشبه المعجزة استطاع باب المسجد الرئيسي المصنوع من الخشب أن يصمد لقرون. وعلى مرمى من حجر من هذا المسجد، جُدت مئات القبور الإسلامية. وتم الكشف عن عدة معدات من الحجر الصلب ومن الخزف ضمن هذا الموقع الأثري.

تكمن أهمية هذا الاكتشاف الأثري الذي أعلن عنه في بداية هذه السنة، في كونه يعيد النظر في تاريخ إثيوبيا التي طالما وصفت بأنها أقدم دولة للمسيحيين في العالم لم تشهد الانتشار الإسلامي إلا بصورة متأخرة وعلى أطراف البلاد فقط. بيد أن هذه المدن تظهر أن الإسلام استوطن قلب إثيوبيا منذ القدم وتعايش سلميا مع المناطق المسيحية. وتقول الأساطير أن نورة أقيمت بعد زواج عاشقين، وقرر أهالي العاشقين تأسيس المدينة لتثبيت روابطهما.

كما تجدر الإشارة إلى ضرورة زيارة بعض المتاحف، خاصة المتحف الإثنولوجي الذي يقدم صورة عن التنوع الكبير في الصناعات اليدوية والعطاءات الثقافية والفنية لهذا البلد المتعدد الإثنيات والديانات، والمتحف الوطني الذي يحوي هيكل "لوسي" الشهير. هذه أهم المعالم السياحية لهذا البلد الإفريقي الذي يستحق الزيارة. صحيح أن البنية التحتية متواضعة إلا أن السياح الذين يؤمنون بالسياحة التضامنية لا يترددون في الذهاب إلى هذا البلد الذي يحمل أكثر من مفاجأة. ■

لمن يريد الذهاب

- أفضل فترة لزيارة إثيوبيا: معظم السنة، باستثناء شهري يونيو/حزيران ويوليو/تموز حيث الأمطار تكون غزيرة. يسود البلاد جو لطيف صالح تماما للتمتع بالسفر.
- الخطوط الجوية الإثيوبية هي من أجود شركات الطيران الإفريقية ولها شبكة واسعة خارجياً وداخلياً وأسعارها معقولة.
- أفضل وسيلة للتنقل في مناطق البلاد هي السيارة ذات الدفع الرباعي التي يمكن أكتراؤها جماعياً بأثمان مناسبة.
- تؤدي عند المغادرة ضريبة 10 أورو.

ومن العاصمة أديس أبابا إلى الحدود الكينية، يمتد وادي ريفت وهو مجال خصب يتميز بتوفره على سبع بحيرات ذات منظر أخاذ، حيث يمكن مشاهدة أصناف متنوعة وجميلة من الطيور. ومن أهم البحيرات نذكر تانا (3600 كلم مربع) وأبياتا وشالا وأبابا وشامو ولاغانو. وهذه الأخيرة وحدها صالحة للسياحة.

ومن مواقع الجذب الطبيعية شلالات النيل الأزرق أو شلالات تيسيسات الواقعة على بعد 45 دقيقة من بحر دار (300 كلم من أديس أبابا) بعلو 50 متراً وعرض 400 متراً، و عدة حدائق حيوانات وطنية تمتد على مساحات جد واسعة نذكر منها على الخصوص: سيميبي وبال وإنتوتو.

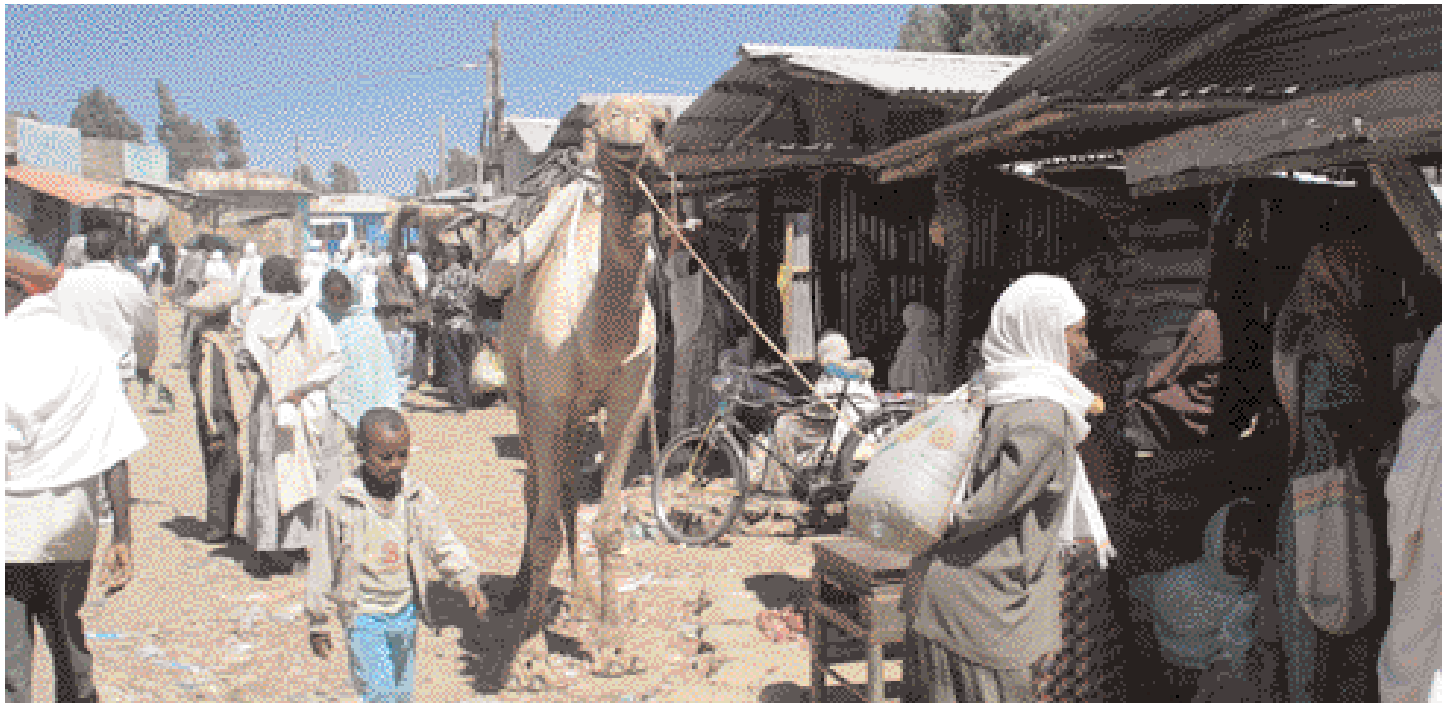
وعلى مستوى نقط الجذب الثقافية والدينية، لا بد من الإشارة إلى مدينة حرار الإسلامية ذات الطابع التقليدي بحصنها المميز وما يناهز 90 مسجداً (من بينها ثلاثة تعود إلى القرن العاشر ميلادي). وهذه المدينة العريقة التي يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن 13 ميلادي والتي تعتبر رابع مدينة إسلامية مقدسة، دخلت سنة 2006 ضمن لائحة التراث الإنساني لليونسكو، وهي تقع شرق البلاد في منطقة إستراتيجية على ارتفاع 1,750 متر.

ومن المأمول أن تساعد الاكتشافات الجديدة العلماء على ربط المعلومات بعضها ببعض وتعميق معرفتنا بالمراحل القديمة لتطور الإنسان.

وللتذكير، "لوسي" هو الاسم الذي أطلق على الهيكل العظمي شبه الكامل للإنسان البدائي الأول الذي قدر عمره بنحو 3,2 مليون عام على الأقل والذي اكتشف في إثيوبيا عام 1974 وشكل محطة بالغة الأهمية في البحث عن الأصول الغابرة لبني الإنسان.

حديقة حيوان كبرى

تعد إثيوبيا مجالاً مثالياً لهواة السياحة الطبيعية ورياضة المغامرات، من محبي المشي والسفاري وتسلق الجبال. ونظراً لما تشتمل عليه من براري وألوان شتى من المجالات الطبيعية الخلابة ومن الحيوانات، تعتبر إثيوبيا بحق حديقة حيوان كبرى، فأصناف الطيور لا تعد ولا تحصى. نذكر منها على الخصوص عقاباً ضخماً وهو من الكواسر النادرة، واللقائق وأنواعاً من البط. وهناك القردة والتماسيح والفيلة والضباع والغزلان والخنازير الوحشية ووحيد القرن وابن أوى وفرس النهر، وغيرها.



Local market

سوق محلي